الزواج بين الاقارب

أمضر ام نافع

كثيراً ما تنظر الى الزواج كأمرٍ اجتماعي محض ونحصُ الطرف عما ينتج عنهُ من الوجهة البيولوجية ، ونقصر نظرنا تهمّ براحة رجلٍ وامرأته وسعادتهما الزوجية والبيتية وتتعامى عن مستقبل نسلهما وعما اذا كان هذا النسل سيصبح عبئاً ثقيلاً على والديه ، وربما على الانسانية جمعاء.

كثيراً ما نهتم بجودة الدم الذي يجري في عروق خيولنا ومواشينا واصله ولكن قلما يهمنا ان نتساءل عن محتويات الدم الذي يجري في عروق شريكة حياتنا . فموضاً من ان نحكم العقل ونواميس الطبيعة في انتقاء الزوجة ، ترانا نطلق لعواطفنا العنان ونختار ما يأمر به القلب لا ما يوحي به العقل

قلنا سابقاً أن الناس في الجملة ينظرون الى الزواج كسنة اجتماعية او دينية يجب اتباعها بدون نظر الى صلاحية الرجل او المرأة ومع ان كثيرين لا يبحثون عن الزواج من الوجهة البيولوجية فانك تجدهم غالباً يتحدثون عنه من وجهة اخرى ألا وهي مضاره بين الاقارب

لقد كثر الزواج بين الاقارب في كثير

كنا قد اعددنا لكتابة مقال في هذا الموضوع تلبية لطلب بعض القراء فاكتفينا بشيء من ذلك حتى اطلعنا في مجلة الكلية التي تصدرها جامعة بيروت الاميركية على هذه المقالة النفيسة لحضرة افندي النجار مدرس علم الحيوان فيها فآثرنا نقلها اكثرها لقرائنا لتفرغ لموضوع آخر

من البيوتات فنجم عن ذلك شيوع آراء مختلفة من جهة ملاءمته وعدمها . شاع الظن بين العامة والخاصة بان الزواج بين الاقارب مضر حتى انهم ينسبون اليه والبله والجنون والسل وكل ضعف في الجسد والعقل الى قرب الصلة بين الابوين حتى قضت الحال بسن قوانين دينية ومدنية تحظر الزواج بين الاقارب . ومن الغريب ان هذه القوانين تختلف باختلاف الاديان والمذاهب والحكومات فمنها ما يمنع الزواج بين اولاد الاعمام والاخوال ومنها ما يبيحهُ . ففي الولايات المتحدة مثلاً نرى اختلافاً كبيراً في هذه القوانين . ففي عشرين ولاية منها يحظر الزواج بين اولاد الاعمام والاخوال حال كون عدد كبير من الولايات الاخرى لا يضع حدًّا لذلك حتى ان ولاية بنسلفانيا تسمح للرجل بان يتزوج اخته اذا شاء . فلماذا وقع هذا الاختلاف في القوانين ؟ ليس لجهل من سنها بل لتناقض التجارب العلمية والاختبارات الطبيعية وعدم اتفاقها

فبينما نرى رجلاً عظيماً كابراهيم لنكلن ثمرة زواج رجل بابنة عمه ، وتابنة كتشارلس

دارون تزوج بابنة خاله فأنجب اولاداً اذكياء اقوياء ، نجد في بعض العيال العريقة النسب ، التي خصت نفسها بمستوى اجتماعي عالٍ يحظر عليها الزواج من عيال اخفض منها مقاماً فاضطرتها الحال ان تكثر من الزواج بين افرادها ؛ الامر الذي أدّى اما الى انقراضها او زيادة عدد الضعفاء والسقماء فيها . خسرت تلك العيال النبيلة مركزها الاجتماعي وقل انقياد العامة اليها ليس لان العامة تنوّرت بما توافر لديها من ذرائع العلم والتمدن فابت الانقياد ، بل لان هذه العيال او البيوت انحصر الزواج فيها بين افرادها فضعف دمها وفسد . فاذا كان الامر كذلك فكيف يطلب نبوغ رجال يفتخر بهم وهم ثمرات الزواج بين الاقارب في بعض العيال وعكس ذلك في عيال اخرى . اننا لا يمكننا ان نجري التجارب العلمية على الانسان ولذلك كان لا بد لنا من الاعتماد على الحيوان والنبات لحل معضلات كهذه والاجابة عن مسائل كالتقدم ذكرها آنفاً . كنا يعلم ان الوراثة في الانسان تجري على منهاج القوانين التي تجري عليها في الحيوان والنبات ، ولذلك يمكننا ان نطبق على الانسان — ولو ببعض تحفظ — ما يستنتج من التجارب التي تجري على الحيوانات والنباتات

الطبيعة

لو القينا نظرة عامة على اساليب التلقيح والتناسل في الحيوان والنبات لوجدنا هنالك تطوراً مستمرًّا . ففي الحيوانات الدنيا كل فردٍ قادر ان يولد مستقلاً بنفسه دون التقاح اي لا ذكر هناك ولا انثى . اما في الاسفنج وبعض انواع الديدان والحيوانات الحلزونية الصدفية ، فالفرق بين اعضاء تناسل الانثى والذكر جلي ولكل عمله الخاص في التلقيح

اما في الحنش فمع ان كلا العضوين (الخصية والمبيض) موجودان في جسد واحد فقلما يحصل تلقيح بويضة (*ovum*) بجرثومة منوية (*sperm*) وكلتاهما قد نمتا في حيوان واحد اي انهُ لا تستطيع دودة ان تلقح نفسها بنفسها لعدم وجود الجاذبية بين بويضتها وجرثومتها المنوية ، او لان الخصية تفرز مادتها قبل افراز المبيض او بعدهُ ، فلا تتمكن الدودة من ان تلقح نفسها بنفسها . فلا بدَّ والحالة هذه من التلقيح من الغير . وهكذا يتم اختلاط الجرميلازم *germplasm* بجرميلازم آخر . اما الحيوانات العليا فقد تطوَّرت حتى اصبحت فيها اعضاء التناسل في الذكر والانثى مختلفة كل الاختلاف وكل منها موجود في جسم مستقل

والنباتات ايضاً قد اقتفت هذه الخطة باساليب اخرى تنفيذاً للمأرب الطبيعي نفسهِ الذي يمنع تلقيح الذات بالذات . فالزهرة غالباً تحتوي على اعضاء الذكر والانثى ولكن قلما يحصل التلقيح الذاتي فيها لان الطبيعة لا تريد ذلك اما لان الذكر لا ينضج في حين نضج الانثى ، او لان شكل الزهرة وتركيبها يمنعان اتصال ذكرها باناثها ، ولذلك يتم التلقيح بين ازهار مختلفة

هذه الملاحظات كلها لفتت نظر دارون فقال « من البديهي اذن ان الطبيعة تكره الزواج الذاتي » وما الزواج الذاتي الا شكل مكبَّر او نوع من الزواج بين الاقارب . فقد قال دارون ان اجتناب الزواج بين الاقارب نافع جداً ، لان هذا النوع من الزواج اذا تكرَّر جيلاً بعد جيل نجمت عنهُ مضار جسيمة فاذا كانت القربى غير مستحبَّة عند الطبيعة كما يستنتج مما تقدم ، افلا يعني انها غير مستحبَّة عند الانسان ايضاً ؟ ؟

اختبارات المشتغلين بتأصيل الحيوانات والنباتات

ولكن كثيراً ما تُتبع وسائل مضادة للوسائل الطبيعية فنحصل على نتيجة حسنة . قلنا ان الزواج الذاتي والزواج بين الاقارب ليسا مستحبين في الطبيعة . اما في الحيوانات الداجنة وتحت مراقبة الانسان فقد أدى ذلك الى نتائج حسنة . من ذلك انهُ اذا وجد في سرب من الطيور دجاجة حسنة الشكل كثيرة البيض ، واراد صاحب الطيور ان يكثر من نوعها فانهُ يزوجها باخيها او اولادها . وهذا ما يفعله مربّو الحيوانات الاخرى . فان الزواج على هذا الشكل يجعل الجرمبلازم خالياً من المواد الفاسدة التي قد توجد في طائر اقل جودة

افلا يدل هذا على ان الزواج بين الاقارب نافع ومفيد ؟ ؟ فيما نرى هذا ونصدّقهُ نجد ان العكس هو الصحيح في بعض الاحيان . مثلاً كنا يعلم ان البغل هو نتيجة تزاوج حمار وفرس وما هذا التزاوج بين حيوانين مختلفين ، إلاَّ صورة مكبرة للزواج بين غير الاقارب ولا يخفى ان البغل اقوى جسداً واشد عضلاً من ابويه . وقد تعوَّد مربّو الدجاج اذا ارادوا بيع الفراخ الصغيرة ، ان يزاوجوا بين نوعين مختلفين ويفقسوا بيضهما ، فينتج من هذا الاختلاط فراخ سريعة النمو قوية البنية تباع باسعار اعلى من اسعار الفراخ الاعتيادية

افلا يدل ذلك على ان اختلاط الدم نافع ؟ ؟

التجارب العلمية

ان التجارب العلمية معتمد عليها للوصول الى الحقيقة اكثر من الملاحظات والمشاهدات العمومية فقد لقحت نبتة من الذرة الصفراء بنفسها عدة اجيال فلوحظ نقص في المحصول ثم اعيدت التجربة نفسها في نباتة اخرى فكانت النتيجة مطابقة للأولى ولكن لما لقحت النبتة الأولى بالثانية عاد مقدار المحصول الى ما كان عليه سابقاً وهذا يدل على ان الزواج بين الأقارب مضرٌّ للغاية . ولكن قبل ان نسلم بهذا الرأي دعنا ندرس نتائج بعض التجارب الأخرى

قامت مس كنغ (*Miss King*) بتجاربها بين الفيران اخاً باخت طيلة ٣٦ جيلاً ، فلم تشاهد اقل ضرر وقد جربت عملية كهذه في احدى الحشرات (*Drosophila*) واستمرت ٧٥ جيلاً فلم ينتج عن ذلك ضررٌ ما . حقاً ان المرء ليقف حائراً امام هذه النتائج المتباينة

في الانسان

تجاه هذه الملاحظات العمومية المتناقضة لا يمكننا ابداً ان نستنتج شيئاً باتاً عن الانسان . فعلينا اذاً ان ندرس بعض الملاحظات والمشاهدات عن الزواج بين الاقارب في الانسان نفسه لنرى هل تدل على شيء محتوم : —

كلنا نعلم ما كان عليه اهل إسبارطة من الشدة والبأس فقد حكموا بلاد اليونان بأسهم ونشاطهم وكانوا ينظرون الى غير الاسبارطيين بعين الاحتقار. فلذلك قلَّ زواجهم بالغرباء وكثر بين بعضهم والبعض الآخر طيلة عدة اجيال ، ومع ذلك لم ينتج عن هذا اقل ضرر

ولما اكتشفت اميركا الشمالية نزح اليها عدد كبير من الاوربيين وألفوا فيها مستعمرات صغيرة كثر فيها الزواج بين الاقارب لقلة عدد السكان فيها . ومع ذلك فلم نرَ لذلك التزاوج من نتيجة سيئة . وهنا في سوريا على ما هو معروف عدد من العائلات كثر فيها الزواج بين الاقارب وما زالت تنجب نسلاً قوياً سليماً

كل هذا يدل على ان لا بأس من الزواج بين الأقرباء . ولكن دعنا نفكر قليلاً في الموضوع من الوجهة الأخرى . فما لا شكَّ فيه ، ان الاستعداد او القابلية للسل شيء وراثي ، وكذلك بعض انواع ضعف العقل وسقم الجسم . ومما لا شك فيه ايضاً ان بعض هذه البلايا تحدث جيلاً بعد جيل في بعض العيال ولا تحدث في البعض الآخر منها . فنرى مثلاً عائلة كثر فيها السلّ وأخرى كثر فيها البَلَه والجنون الخ . فكيف اجتمعت هذه الامراض في بعض العيال ولم تجتمع في غيرها ؟؟

والجواب هو ان سبب ذلك هو الزواج بين الاقارب . جرثومة الانسان يحتوي على مئات من العوامل (*genes, or determiners*) التي هي اساس الوراثة . فبعضها جيد يرفع الانسان ، وبعضها فاسد يحطهُ ، وخصائص او مميزات النسل هي نتيجة هذا الفرق بين الجيد والفاسد . فان الزواج بين الاقارب يحصل عنهُ اجتماع هذه العوامل الفاسدة في شخص واحد ولذلك تظهر سيئاته

التفسير

يصعب عليَّ ان اتعمق في شرح الأسباب التي نشأت عنها هذه النتائج المتناقضة بدون ان اصف قوانين الوراثة في الانسان . ومن العبث ان احاول شرح هذه القوانين بكلمات قليلة، ولكن على سبيل الايضاح ، لا بد لي من قول كلمة في هذا الموضوع : —

العوامل الوراثية كثيرة جداً في الانسان ، وغالباً نرى ان عدداً كبيراً منها يتعاون على تكوين صفة واحدة ، كالقوة العاقلة ، وطول القامة ، ولون البشرة ، الخ . ومن هذه

العوامل ما هو جيد فيحسن صفات الانسان ويرقيها ، ومنها ما هو رديء فيحطها فتتوقف صفات الانسان ومميزاته على نسبة الاولى الى الاخرى . فمن كثرت فيه العوامل الفاسدة، كان خاملاً غبيًّا ومن زادت فيه العوامل الحسنة كان نابغاً عبقريًّا

بعد هذه المقدمة الوجيزة عن الوراثة اتقدم الى تعليل النتائج التي اوردتها عن منافع الزواج بين الاقرباء ومضارهِ. فان الجرمبلازم في الانسان قلما يخلو من عوامل فاسدة ، وهذه العوامل بعد الزواج بين الاقارب تتجمع وتتراكم في شخص واحد فيحصل من جراء ذلك الضعف العقلي او الجسدي حسب نوعها. وقد يصدق هذا التعليل على العوامل الحسنة فتتراكم وتتجمع في شخص واحد كما تجمعت العوامل الفاسدة في شخص آخر . فيكون لها حسناتها كما كان للاولى سيئاتها . ولذلك قد يكون الزواج بين الاقارب نافعاً . ولكننا في الواقع نرى ان تراكم العوامل الفاسدة في الزواج بين الاقارب هو اكثر من تراكم العوامل الحيدة ولذلك تعاليل واسباب لا يسمح لي المجال بان اوردها الآن

وربَّ سائل يقول : اذا صحَّ ان الزواج بين الاقارب مضرّ لانهُ يساعد على تراكم العوامل الفاسدة في الفرد ، واذا كانت هذه العوامل الفاسدة منتشرة في جميع الاشخاص فلماذا يسبب الزواج بين الاقارب تراكمها اكثر مما يسببهُ الزواج بين شخصين لا قربى بينهما ؟ فالجواب على ذلك هو ان العوامل الفاسدة ليست كلها من نوع واحد في العيال المختلفة ، فعائلة زيد فيها ضعف في عامل نمرو ١ وعائلة عمرو فيها ضعفٌ في عامل نمرو ٢ فالزواج بين العائلتين يصلح ما فسد في كل منها ، اي ان الجيد من نمرو ١ في عائلة عمرو يصلح الفاسد في نمرو ١ من عائلة زيد ، والجيد من نمرو ٢ في عائلة زيد يصلح الفاسد من نمرو ٢ في عائلة عمرو . وبذلك ينجو النسل من ضعف الابوين

وبالاختصار فالتزاوج بين الاقرباء يكون مضرًّا او نافعاً بحسب محتويات الجرمبلازم في الزوجين . فان كانت صحيحة قوية ، ذات عوامل حسنة فان التزاوج يبعد عنها الجراثومة الخارجية التي قد يكون فيها شيء فاسد ،فتحتفظ بقوتها وصحتها واما اذا كانت المحتويات ضعيفة فان التزاوج يسبب تراكم الضعف فتكون نتيجة الزواج بين الاقارب السقم والفساد

فالجرمبلازم اذاً هو اس الوراثة في الانسان، وعليهِ يتوقف مستقبل النسل وبسببهِ تقوى الامة وترتقي، او تتداعى أركانها. فهو اذا كان صالحاً كان اكرم جوهرة يملكها الانسان، واذا كان فاسداً كان اكبر عبء على صاحبهِ. ولو فهم المرء قيمة الجرمبلازم في الوراثة كما يجب وعرف خطره وتأثيرهُ فيهِ وفي نسلهِ لاهتم باصل المرأة التي يختارها شريكةً لحياته ، وعواهبها الوراثية التي ستكوّن قسماً من مواهب اولادهِ اكثر مما يهتم بجمال وجهها ورشاقة قوامها وأموالها واليها